الإزاحة في العمارة
دراسة تحليلية للتوجهات المعاصرة في عمارة المساجد

بريزات قاسم الصالحي	ندى خضر النعيمي	أنوار صبحي القرةغولي
مدرس مساعد/قسم الهندسة المعمارية	باحث	مدرس مساعد/قسم الهندسة المعمارية
الجامعة التكنولوجية	منظمة الطاقة الذرية	الجامعة التكنولوجية

الملخص:

لقد أفرزت الطروحات المعمارية المعاصرة أفكار ومفاهيم جديدة وتزايد الاهتمام بهذه المفاهيم، وتم تداولها محلياً على الصعيد الأكاديمي والمهني وإن ما يبدو مهماً الآن هو توضيح خصوصية مثل تلك المفاهيم بدلاً من الاقتصار على ترديدها بدون أن يصاحبها وعي يهدف إلى توظيف فحوى الفكر على مفردات الواقع المحلي.

ومن بين أهم تلك المفاهيم برز مفهوم الإزاحة وعلاقته بمسألة الفكرة والشكل وما تهدف من خلاله العملية التصميمية إلى التفرد في الفكرة... وجودة التعبير عنها بالشكل، إذ يمكن تفسير التفرد بالعمل المعماري على أنه إزاحة للتفكير عن النمط السائد والمستند إلى معالجة المشكلة التصميمية بعمق بعيداً عن المعالجات السطحية.

يوفر هذا البحث مناقشة لمفهوم الإزاحة وفق الفكر المعماري المعاصر للكشف عن الإطار النظري... من خلال مناقشة أهم الطروحات النظرية والممارسات التطبيقية لهذا المفهوم بالوصف والتحليل والتركيز على أهم الأسس التي استند عليها مفهوم الإزاحة لخلق الأعمال المعمارية المتفردة ومنها عمارة المساجد.

Displacement in Architecture
An analytical study in contemporary mosques design

Parizat Qassim Al- Salhi	Nada K. Al- Nouaimi	Anwar Subhi Al- Karagholly
Assistant Lecturer	Researcher	Assistant Lecturer

Abstract:

Previous architectural studies have presented new concerns for contemporary design of mosques. These concerns were raised on both academic and professional levels. What is significant is to elaborate on special aspects of these concerns, instead of limited understanding without it being comprehensive enough to utilize the mental and intellectual content in the local meliue.

Displacement represents a major concern specially its relationship to concepts and forms; and what the design process aims at to achieve uniqueness in expression. It is possible to enterprite unique qualities in ideas expressed architecturally as a displacement of current types, which is founded on a deep design problem.

This paper discusses displacement with the above stated context, aiming to achieve a contemporary frame work theory a discussion of current theories and application to achieve a distinguish mosque architecture.

1.أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث في كون أن مفهوم الإزاحة يشكل تحدياً كبيراً للمعماريين يكمن في التوصل إلى إبداعية تتجاوز اسلوب التكرار الممل المتمثل باختزالية العمارة الحديثة والتعابير المستعارة المباشرة في انتقائية عمارة ما بعد الحداثة.

حيث ترمز العمارة الحديثة إلى الواقعية وتؤمن بالحتمية والحقيقة المطلقة لكونها تعاملت مع حقائق فيزياوية وأشياء مادية وعلى هذا الأساس فقد اعتمدت العمارة الحديثة مبدأ الشكل القوي ومعناه أي إن هنالك علاقة واحد – لواحد بين المعنى والوظيفة، المعنى و الإنشاء... الخ. مما أدى إلى اختزال المعنى ووصول اللغة المعمارية إلى مستوى التداولية.

في حين ان عمارة ما بعد الحداثة قد اعتمدت الانتقائية في بناء أشكالها لغرض إغناء معانيها إلا انها فشلت في ذلك نتيجة تقليد واستنساخ القديم وبالتالي وصول اللغة المعمارية إلى مرحلة الفهم المباشر والتداولية أيضاً.

وبما ان عمارة اليوم تسعى إلى تحقق التواصلية والشعرية الأمر الذي يتطلب فصل العلاقة بين الواحد – لواحد تأتي أهمية مفهوم الإزاحة في عملية الفصل هذه.

ولغرض توضيح هذا المفهوم ... سوف يتم تعريف المفهوم لغوياً واصطلاحياً.

2.التعريف اللغوي للمفهوم:

الإزاحة في اللغة العربية مشتقة من الفعل (زحح): زحزحة عن كذا باعده، وتزحزح تنحى(الصحاح،،ص272).

أما الإزاحة في اللغة الإنكليزية فهي مشتقة من الفعل (Displace) والفعل (Dislocate) حيث يعرّف الأول بأنه:

* Put out of the right or usual position.
* Take or put sb. Or sth. in the place of.

في حين يعرّف الفعل (Dislocate) بأنه:

* Put (a bon in the body) out of position.
* Put (machinery, etc) out of order (Oxford,,pp.123-124).

ومن التعاريف السابقة يتوضح ارتباط مفهوم الإزاحة بالجوانب التالية:

1. التباعد.
2. الاستبدال.
3. خلع الأشياء من سياقاتها الحالية ووضعها في سياق جديد غير مألوف.
4. خرق القواعد.

في حين يعرّف المفهوم اصطلاحياً كالآتي:

- الإزاحة هي صورة تخرق قاعدة من قواعد اللغة أو مبدأ من مبادئها، ولكن هذا الإنزياح لا يكون شعرياً إلا إذا كان محكوماً بقانون يجعله يختلف عن غير المعقول...(كوهين،،ص7).
- الإزاحة هي فصل علاقة الواحد – لواحد، بين الإنسان والشكل والمعنى والمضمون والرمزية بحيث يمكن التوصل إلى معاني مختلفة (Eisenman, 1993, p.43).
- الإزاحة هي عملية خلق لغة جديدة من لغة سابقة بشرط الحصول على موازنة بين اللغتين من خلال إجراءات معينة (النجيدي،1998،ص).
- الإزاحة هي اعتماد مفهوم مدرك بوضوح في سياق معين، مجازي التعبير في سياق آخر (النجيدي، 2001، ص).

يتضح مما تقدم بأن المفهوم يرتبط بالجوانب التالية:

1. خرق القواعد والاحتكام إلى قانون.
2. فصل علاقة الواحد – لواحد.
3. عملية خلق لغة جديدة.
4. استبدال السياقات.

أما أهم الدراسات المعمارية التي تطرقت إلى مفهوم الإزاحة فيمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

3.الدراسات العالمية:

3-1.دراسة (Rowe, 1988):

تشير هذه الطروحات إلى توجيه انتقادات إلى الستراتيجيات التصميمية المتبعة من قبل توجهات عمارة ما بعد الحداثة، مع التأكيد على ضرورة اجراء الإزاحة المطلوبة في العمارة طبقاً للإزاحة المتبعة في الأدب والخاصة بتغيير المعنى في داخل تقاليد الأدب والتي تؤدي إلى اعادة تقييم شاملة تطمح إلى تنشيط المعاني في كل نص، إذ تأثر بعض المعماريين بهذه الإزاحة والتي يمكن تسميتها بإعادة تفحص وتقييم شامل للتقاليد الموروثة (Rowe, 1988, p.179).

وتبرز أهمية هذه الإزاحة كبدائل تصميمية بالضد من ستراتيجية الاقتباس التقليدية المتبعة في بعض توجهات عمارة ما بعد الحداثة. ويعتبر (Rowe) بأن هذه الاستراتيجية يمكن أن تكون اكتشافاً للكنوز النفسية في الموضوعات بدلاً من مجرد الاقتطاع السطحي من خلال استخدام الإزاحة خارج سياقاتها الأصلية وبمعالجات لغوية جديدة (Rowe, 1988, p.185).

وإن هذه العملية هي السبيل الوحيد لاعطاء الاستمرارية الحضارية من خلال استخدام الموضوعات القديمة في سياقات ومعاني جديدة (Rowe, 1988, p.189).

3-2.دراسة (Curtis, 1989):

أكدت الدراسة على ان العمارة الحديثة مازالت حية وخاصةً تلك الأبنية ذات النظام المتميز والمرتبطة بالنماذج الأولى للعمارة الحديثة باعتبارها إزاحة عن المألوف الكلاسيكي من خلال تحاشي الحل السهل والصيغ المبتذلة، إنها إعادة ترجمة ذكية للمبادئ الكامنة في جوهر التقاليد (Curtis, 1989, pp.110-111).

أكد (Curtis) على استخدام بعض الإجراءات للوصول إلى التفرد والتميز وبالاعتماد على الإزاحة في الفكر والشكل من خلال تفكيك الأشكال المثالية السابقة، وباستخدام اسلوب الكولاج في تعامله مع السياق، أو إزالة بعض الأجزاء، القلب، أو العبث بأشكال الماضي دون القبول بمنظومات العقائد الماضية (Curtis, 1189, p.113).

ويعتبر (Curtis) بأن العمارة الحديثة هي إزاحة قوية عن تلك الكلاسيكية ليس لغرض الخروج عن المألوف فقط، بل يعتقدها اسلوباً للتعرف على الأسس الخالدة في جوهر التقاليد القديمة (Curtis, 1989, pp.114-115).

3-3.دراسة (Antoniades, 1990):

تناولت الدراسة موضوع العمارة ذات السمة الشعرية (Poetic) وهي عمارة تدعو إلى التخيل وتدل على الإبداع (Antoniades, 1990, p.5).

وأكدت الدراسة على ظاهرة تغيير الأشكال عبر الزمن، فهناك اتفاق حول حركة الأشكال من زمن لآخر أو من حضارة إلى أخرى أي أنه يستعار، وقد تكون هذه الاستعارة منسوخة أي تقليد لما كان، أو مطوّرة أي أنه تجريدي بحيث تجسد الفكرة وتختلف في الشكل، وفي الحالة الثانية تجري عملية الإزاحة للوصول إلى الشعرية عبر القنوات الملموسة أو غير الملموسة أي عبر الاستعارة الشكلية المباشرة أو الاستعارية الفكرية غير المباشرة، حيث الشعرية صيغة نقدية تجعل الرسالة عملاً فنياً متميزاً ...وهي انتهاك لسنن اللغة العادية (Antoniadis,1990, pp.23-24).

ويتم ذلك من خلال عملية التحولات المنجزة على العناصر المرتبطة بشفرة معتمدة كنقطة انطلاق تبتعد عن استخدامها القانوني

الطبيعي المألوف من خلال إجـــراءات تفريقيـــة وتجميعية (Antoniades, 1990, p.70).

3-4.دراسة (Jencks, 1993):

تركز الدراسة على مناقشة مسألة التقـاليد والأعراف ضمن التطورات التي شهدتها العمـارة المعاصرة بين حدود المحافظة والاستمرارية وبين التغيير والتجديد. ويعتبر (Jencks) ان أســاس التغيير والتجديد يعتمد علـــى مفـــهوم الإزاحـــة، ويبحث في الأسباب العلاماتية والتي تنعكس فـــي القراءات الخاطئة والتي تزيح الفكر من اســـلوب التداول في فهم الرسالة إلـــى اسـلوب التحـاور والجدل لإيجاد التواصل بالخطاب المعمـــاري (Jencks, 1993, p.267).

تخلق مثل هذه اللغة الجديدة عمارة يسميها (Jencks) بالعمارة الحوارية التي تقبل بالإختلاف من خلال تحفيز القارئ بقراءة العمل المعمـــاري على عدة اوجه مســـتفيداً مـــن مفـــهوم التفكيـك وتعدد المعاني وخلق الرمزيـــة الأكـثر فرديـة (Jencks, 1993, p.15).

3-5.دراســة (Eisenman and others, 1993):

يركـز المعمـاري (Eisenman) فـــي طروحاته وأعماله على مفهوم الإزاحة باعتبارهـا الستراتيجية الرئيسية لإزاحة العمارة عن حالتـــها الطبيعية من خلال إزاحة العلاقة التقليديـــة بيـن الشكل ومعناه، وانه لا يوجد مدلول واحـــد فـي النص، حيث الإزاحة هي فكرة أساســـية لتعـدد المعاني (Eisenman, 1993, p.19).

ويطرح في عمارته المزاحة مفاهيم متعددة منها النصوصية والتناص ويناقش النماذج البديلـة في تاريخ العمارة اعتماداً على إزاحـــة مفـردات اللغة المعمارية من جوانب أساسية هـــي الحقيقـة والأصل والهدف أو النهايـــة المســبقة التحديـد (Eisenman, 1993, p.28).

فالإزاحة الجديدة في المعنى جاءت لتفكيك الهيمنة الوظيفيـــة (منفعـــة الوظيفـــة والشـــكل) والدلالة الموحدة في الشـــكل ومعنـــاه التقليـدي. واعتمدت الإزاحة على مبدأ التحولات والقـراءات المتعـددة واقتنـــاص المكبـوت أو مـــا يســـميه (Eisenman) بـــالبحث عـــن الجوهـــــر (Eisenman, 1993, p.99).

4.الدراسات المحلية:

4-1.دراسة (منيف،1998):

أثبتت الدراسة بأن مفهوم التميز يعد أساساً لتقييم النتاجات المعمارية وهنـــاك الكثـير مـن الأعمال التي امتازت بالإبداع لاكتســابها اهتمـام بمفهوم الإزاحة، فهناك الإزاحة الفكرية والإزاحـة الشكلية، وان التقاليد المعمارية هي نقطـــة البـدء لحلول جديدة، كما انها ضرورية لفـــهم الرســالة المعمارية (منيف، 1998، ص25).

وأشارت الدراسة إلى ثلاثة أنماط أساســية للإزاحة (Displacement) في أعمال المعماري (Le-Corbusier) هي:

أولاً: الإزاحة المعتمدة في تنظيم الواجهة وهـــي تشمل تحويل في بعض العنـــاصر التقليديـــة المتكررة.

ثانياً: الإزاحة المعتمدة على إيجاد علاقة تشابه مع عناصر خارج التقاليد المألوفة.

ثالثاً: أما النوع الأخير من الإزاحة فـــهو يتعلـق بالأبنية الصناعية.

كما أكدت الدراسة بأن التفرد بالبناية يـأتي من خلال لغة شكلية ترتبط بأفضل حالاتـــها مـــع سياق المكان (context of place) كمـــا فـــي طروحات فنتوري في التعقيد والتناقض وطبيعـــة الحضارة (culture) (منيف، 1998، ص 20).

4-2.دراسة (النعيمي، 1999):

ركزت الدراسة على مفهوم التناص في العمارة التفكيكية ومن خلال ما طرحته في اطارها النظري المعرف لهذا المفهوم.

أشارت الدراسة في مفردة هندسة النص إلى العمليات الداخلة في الإنتاجية النصية وخاصة فيما يتعلق بآليات التحويل والإزاحة، إذ تمثل جانباً مهماً في هندسة النص المعماري يعتمدها المصمم لخلق نص جديد يمتاز بخصائص متميزة ناتجة من الإزاحات... لإعطاء امكانية جديدة وتتضمن الإزاحة:

- خرق القواعد.
- المعالجات التفصيلية.

إذ تعكس الإزاحة خرقاً للقوانين السابقة المقولبة من خلال كسرها وتدميرها بهدف الكشف عن امكانيات جديدة مكبوتة في داخلها. ويتحدد مدى الخرق (بنوع القاعدة الخاضعة للخرق، وحقبتها الزمنية).

أما المعالجات التفصيلية فتهدف إلى تجنب النقل المباشر أو الاقتطاع الساذج من نصوص سابقة، منها الانحراف، التدوير، حذف – قلب، تجزئة وتقطيع، مبالغة بالمقياس أو تصغير، ...الخ)(النعيمي، 1999 ،ص130).

4-3.دراسة (أفندي، 2000):

تناولت الدراسة مبدأ الثنائيات في العمارة المعاصرة وأهميتها في مسألة توليد المعنى وصيغ التعامل مع الثنائية المتقابلة (الحضور والغياب). وقد افترضت الدراسة وجود تباين في استخدام المعماريون لاساليب تحقيق الحضور والغياب من حيث استخدامهم لاسلوب الإزاحة لتحقيق الغياب والحضور، ووضعت على أساس ذلك اطاراً نظرياً بثلاث مفردات أساسية، حيث وضحت المفردة الثالثة نوعين للإزاحة هما:

1. الإزاحة الفكرية.
2. الإزاحة المادية.

فالإزاحة الفكرية تكونت من مفردات ثانوية منها:

- فصل الدال عن المدلول.
- تحقيق حالةمن المعاني السائبة.(أفندي،2000، ص76)

أما الإزاحة المادية فمن مفرداتها الثانوية: الإزاحة المكانية: والتي يمكن تعريفها بأنها تغيير المكان أو الموقع لشئ ما أو لشكل ما بتحريكه، أن تزيح شيئاً: هو أن تحرك مكانه من موقع إلى آخر. من خلال الإشارة إلى أعمال المعماري (Eisenman) (أفندي،2000 ،ص76 –77).

4-4.دراسة (النجيدي،2001):

ناقشت هذه الطروحات موضوع الأفكار المعمارية وصيغ التعبير عنها في التوجهات المعاصرة. وتضمن الاستنتاج بأن " الإطار العلم للاستراتيجية التصميمية في الطروحات المعاصرة يتركز حول رؤية محددة لعملية خلق النتاج المعماري، هذه الرؤية تتمحور حول عدم إمكانية الخلق من الصفر، على العكس ان عملية الخلق هي عملية إزاحة...لتصور شكلي سابق نحو تصور شكلي جديد"(النجيدي، 2001 ،ص155).

وإن الطروحات المعاصرة حول عملية الخلق وفق مفهوم الإزاحة قد جاءت لتؤكد أمرين أساسيين هما:

- الأول: يخص الموقف من اللغة السابقة.
- الثاني: يخص صيغ التعامل مع هذه اللغة.

فبالنسبة إلى الأول فأن خلق الرسالة الإبداعية المتفردة لابد من أن يستخلص من سياق اللغة المعتمدة العامة، وبهذا فإن العمل لا يمكن أن يكون معزولاً أو مقطوعاً عن سياقه التاريخي.

أما على صعيد التعامل مع اللغة، فإن النتاج الجديد لا يمثل نسخاً مباشراً لموجودات الموروث المعماري السابق بقدر ما

يمثل تعاملاً مع جوهر هذا الموروث (النجيدي، 2001،ص155-156) .

أما الهدف من الإزاحة فهو:

- التواصل والتخاطب.
- التفرد والخروج عن المألوف المستنسخ.

مما سبق يتضح ارتباط مفهوم الإزاحة بمفاهيم أخرى مترادفة معه، ومتمثلة بكل من:

1. الشعرية: باعتبار الشعر إنزياحاً عن قانون اللغة وهو صورة تخرق قاعدة من قواعدها... إذ يتم تحقيق الشعرية عن طريق إزاحة العمارة... الأمر الذي يؤدي إلى إسهام المتلقي واشراكه في خلق العمل والتواصلية معه.
2. التواصلية: فكرة التواصلية تشكل خرقاً للأنظمة المعلوماتية السائدة، وهو يتطلب تحطيم دوائر الانغلاق في النص.
3. الاختلاف: هو الإزاحة التي تصبح بواسطتها اللغة أو الشفرة أو أي نظام مرجعي عام يميزه تاريخه، عبارة عن بنية من الاختلافات.
4. التفكيك: من خلال التركيز على زحزحة فكرة التمركز والبحث عن الجوهر واستخراج المكبوت وخلع فكرة التموضع باعتبار العمارة من أكثر الأنظمة صعوبة في إزاحتها وخلعها عن موضعها.
5. التميز: اتجاه جديد يعمل على تحطيم القوانين ويفتح اتجاهات جديدة غير متداولة سابقاً أي خلق نتاج يتميز بتحدبه واختراقه للأعراف السائدة.
6. التفرد: تتسم النتاجات المبدعة بإزاحة المفاهيم السابقة سواءاً المرتبطة بحقل العمارة أو ما هو خارج حقل العمارة ويتم تناولها بإجراءات مختلفة حتى تبدو ملائمة للحالة الظرفية.
7. التعقيد والتناقض: استخدام المصمم لعناصر تقليدية وربطها بطريقة غير مألوفة كالإزاحة، إذ يشير فنتوري " ان الأشياء المألوفة لدى رؤيتها ضمن بيئات غير مألوفة تصبح من الناحية الحسية جديدة وقديمة معاً في آن واحد أي بتغيير بيئاتها ومحيطاتها يمكنه حتى استخدام القوالب المكررة القديمة للحصول على تأثيرات جديدة ".
8. الحضور والغياب: فصل الدال عن المدلول يسمى إزاحة عندما يكون هنالك نصان ولا يوجد هيمنة لأي منهما.
9. درجة الإزاحة وعلاقتها بنقد العمارة المجردة جداً والعمارة المباشرة، إذ ان الإزاحة إذا تعددت درجة معينة لا يمكن تأويلها وتصبح عملية تفي الإنزياح مستحيلة فتسقط السمة المميزة للغة وهي التواصل.

من خلال ما أشارت إليه الدراسات المعمارية والتعاريف اللغوية والاصطلاحية يمكن استخلاص مفردات الإطار النظري لمفهوم الإزاحة وتعريفها على انها:

عملية خلق جديدة من لغة سابقة بالاعتماد على إجراءات معينة لتحقيق التواصلية.

ويتألف الإطار النظري من أربعة مفودات تمكن من تشخيص الإزاحة وتوضيحها وهي:

- المفردة الأولى: أهداف الإزاحة.
- المفردة الثانية: محددات الإزاحة.
- المفردة الثالثة: درجة الإزاحة.
- المفردة الرابعة: أنواع الإزاحة.

حيث تشير المفردة الأولى إلى وجود هدفين هما:

أولاً- التواصل والتخاطب.

ثانياً- التفرد والخروج عن المألوف المستنسخ.

أما محددات الإزاحة فهي:

أولا- الموقف من اللغة السابقة.

ثانيا- أنواع الإجراءات المعتمدة في عملية الخلق.

في حين ان درجة الإزاحة: تتمثل بثلاث درجات:

- درجة الإزاحة صفر: أي لا يوجد إزاحة.
- درجة الإزاحة المعقولة: إزاحة محكومة بقانون.
- درجة الإزاحة المفرطة: حالة إيهام شديد يحدث انقطاع غير مرغوب.

أما أنواع الإزاحة فتتمثل بالإزاحة الفكرية والإزاحة الشكلية. وللإزاحة الشكلية نوعان يرتبطان بالمعنى هما:

- إزاحة حية تعطي صورة مألوفة معنى.
- إزاحة أكثر حيوية تعطي صورة مبدعة معنى.

والجدول التالي يوضح مفردات الإطار النظري لمفهوم الإزاحة.

المفردة الرئيسية		المفردات الثانوية	فقراتها الفرعية
1.	أهداف الإزاحة	- التواصل والتخاطب	- استمرارية فهم الرسالة المعمارية
		- التفرد والتميز	- الخروج عن المألوف المستنسخ
		- الشعرية	- البالغة في ايصال الرسالة
2.	محددات الإزاحة	- الموقف من اللغة السابقة	- طبيعة الحضارة
			- سياق المكان
		- أنواع الإجراءات المعتمدة في عملية الخلق	- مبدأ التحولات
			- التجريد
			- القلب والحذف
			- التجزئة والتقطيع
			- أخرى
3.	درجة الإزاحة	- درجة الإزاحة الصفر	- لا توجد إزاحة
		- درجة الإزاحة المعقولة	- إزاحة محكومة بقانون
		- درجة الإزاحة المفرطة	- حالة إيهام شديد يحدث انقطاع غير مرغوب
4.	أنواع الإزاحة	- إزاحة فكرية	- خرق قواعد اللغة المعمارية
		- إزاحة شكلية	- إزاحة حية تعطي صورة مألوفة
			- إزاحة أكثر حيوية تعطي صورة مبدعة غير مألوفة

(جدول يوضح.مفردات الإطار النظري لمفهوم الإزاحة)

5.الإزاحة في العمارة الإسلامية:

ليست العمارة الإسلامية نتاج مكان محـــدد أو شعب محدد بقدر ما هي في الواقـــع انصـــهار طرز متعددة لشعوب مختلفة في بوتقة فلسفة واحدة ولكن بظروف متباينة (الجميل،1996 ،ص114).

أما بالنسبة لمفهوم الإزاحة فـــي العمـــارة الإسلامية فيمكن تحديد وجوده من خلال مفـــاهيم أخرى ارتبطت به ارتباطاً وثيقـــاً ومنـــها مفـــهوم الاستعارة.

إذ أكدت طروحات الجميل ومـــن خـــلال مراجعة وتحليل الدراسات المعمارية التي تنـــاولت نتاجات العمارة الإسلامية، بأن الاستعارة ظـــاهرة موجودة في العمارة الإســـلامية... ومـــن خـــلال ارتباط الاستعارة بالإزاحة، فقد أكدت طروحـــات الصـــالحي فـــي دراســـة خصوصيـــة الصـــورة الاستعارية في العمارة الإسلامية المعاصرة بـــأن أنواع الصور التي بإمكان المصممييـــن تشـــكيلها اعتماداً على درجة الإبداع فيـــها تكـــون محـــددة بدرجة الإنحراف في الشكل ودرجة الإزاحة فـــي المعنـــى (الصـــالحي،1999،ص139)، ودرجـــة الإزاحة نوعان:

- إزاحة حية تعطي صورة مألوفة معنى.
- إزاحة أكثر حيوية تعطي صورة مبدعة معنـــى (الصالحي،1999،ص140).

كما أكدت الدراسة على ارتباط الاســـتعارة ببعض الصيغ والإجراءات المعتمدة في الإزاحـــة مثل التحوير، كتحوير الطبيعة إلى أشكال مجـــردة ترتبط بالجانب الروحي... وبالنسبة إلى أســـاليب تقليد الطبيعة فقد اعتمدت على تجريـــد الأشـــكال ومحاكاة الجوهر وإلغاء العلاقة بين الشيء المرئي وبين دلالته المادية ومعناه المتداول (الصـــالحي، 1999،ص19). أي ان الإزاحة تتم بفصل الـــدال عن مدلوله مع التركـــيز علـــى ثبـــوت المبـــادئ لارتباطها بالجانب الروحي والديني، أما الأشـــكال فهي تتجرد من معانيها بفعل الإزاحـــة. ومنـــها تميزت العمارة الإسلامية المعاصرة بخصـــائص وسمات جعلت لها خصوصية كبيرة ومهمـــة، وإن ظهور نتاجات معمارية متميزة فيها يرتبط بصورة رئيسية بتحوير الأشكال أو تغيير الســـياقات مـــع بثبوت المبادئ كما في ملوية سامراء.

6.الإزاحة في عمارة المساجد:

كان للإسلام أكبر الأثر في توجيـــه الفـــن العربي، وبدأ تأثيره مع إشراقة أول شـــعاع منـــه على العالم كله، فقد كان له الفضل الأول والأخير في إنتاج شكل محـــدد ومميـــز لمكـــان العبـــادة الإسلامي، الذي بدأ داراً للرسول (ص) وآل بيتـــه في المدينة، ثم تحول إلى مســـجد تحـــت حاجـــة المسلمين بعد هجرتهم مع النبي (ص) إلى المدينة.

وظل هذا النموذج النبـــوي متبعـــاً لبنـــاء المساجد في شرق العالم الإسلامي وغربـــه مـــع بغض الاختلاف في التفاصيل... وبمعنى آخـــر ان كل مسجد كان يتفق مع المساجد الأخـــرى فـــي المميزات الرئيسية والتخطيط العام ويختلف فـــي التفلصيل، فكان كل مسجد منها يتميز بشـــخصية قائمة بذاتها (شافعي،1970،ص241-243).

ويؤكد الشافعي بـــأن الإحتفـــاظ بـــالفكرة الرئيسية للتخطيط العام (مسقط المسجد يتكون مـــن صحن وسطي مكشـــوف وأروقـــة حولـــه علـــى الجوانب الأربعة أكبرها رواق القبلة) تبقى هـــي المبدأ الأساسي والتفاصيل تتغـــير حســـب اللغـــة المعمارية المستخدمة في التعبير عن هذه الفكـــرة الرئيسية. وبهذا تكون الإزاحة الوســـيلة الجيـــدة للحصول على التغيـــير المطلـــوب فـــي الشـــكل والسياق مع الاحتفاظ بالتقاليد الدينية، وعليه تـــبرز أهمية مفهوم الإزاحة في عمارة المساجد بكونـــها توفر ستراتيجية تصميمية لخلـــق لغـــة معماريـــة جديدة تخرق القواعد المعمارية مع الحفاظ علـــى المبادئ الإسلامية المرتبطـــة بالأشـــكال القديمـــة لغرض توفير التفرد بالأشكال والتواصليـــة مـــع

الموروث الإسلامي من خلال إغناء الشكل الجديد بمعاني متعددة... تتفتح على أفكار مختلفة مع الحفاظ على المبدأ الأساسي المرتبط بالشكل القديم.

وبهدف الحصول على تصور واضح حول طبيعة التعامل مع مفهوم الإزاحة في التوجهات العربية المعاصرة في عمارة المساجد سيقوم البحث بدراسة وتحليل ثلاثة أمثلة معمارية عربية معاصرة لمساجد صُممت من قبل معماريين عرب وهذه الأمثلة هي:

المشروع الأول:مساجد الحي الدبلوماسي- الرياض / السعودية

المعماري: الاستشاري الشثري-السعودية

ان الفكرة المعمارية للمسجد أساسية وبسيطة مثل تصميمه المعماري وتتمثل في وجود مساحات مستطيلة ومربعة محصورة بين حوائط مسطحة تخترقها فتحات مثلثة الشكل طبقاً للأشكال الهندسية الدقيقة للعمارة النجدية... فمصمم نموذج مساجد الحي الدبلوماسي قد حاول محاكاة اسلوب المساجد النجدية القديمة ويتضح ذلك بجلاء في معالجته للمسقط الأفقي... وكذلك في اختياره للمواد المستعملة للتنفيذ... وقد قام المصمم بتقسيم المسقط الأفقي إلى قسمين هما المصلى والفناء الخارجي محاكاة لطابع المساجد النجدية... إذ ان وجود الفناء بالمسجد ضرورة تمليها توفير مساحة لاداء صلوات المغرب والعشاء في فترة الصيف الشديد الحرارة، أما المساجد في وقتنا هذا فليست في حوجة لفناء كبير لتأدية الصلاة فيه... فهي مكيفة بفضل استخدام أجهزة التكييف الحديثة كما انها توفر الحماية اللازمة للمصلين ابان الشتاء.

المأذنة هي الأخرى لم تخلو من محاولة تقليد الطابع النجدي فقد صممت في شكل قريب للمنشور وبدون وجود بروزات وتميل حوائطها للخارج وتم زخرفتها بفتحات مثلثة الشكل وهي نفس الزخارف التي استخدمت في العمارة النجدية، كما ان هذه الفتحات كانت تشكل العنصر الرئيسي للإضاءة. وبالنسبة لجدار القبلة فقد أخذ الشكل المثلث ليبرز المبنى من جداره وقد عمد المصمم كذلك في معالجته للواجهات إلى محاكاة الطابع النجدي فمرازيب مياه الأمطار والحوائط المائلة للخارج وملمسها وحتى لونها الطيني الملائم للبيئة النجدية لعدم تأثره بالعوامل الجوية، جميعها تحمل سمات الطابع النجدي (البناء، عدد 27،ص93).

من خلال تحليل الوصوفات والرسومات الخاصة بهذا المسجد يتضح بان المصمم قد استخدم الإزاحة على مستوى الشكل في العديد من عناصر وأجزاء المبنى وبدرجات تباينت ما بين إزاحات قوية نتج عنها تصاميم مبدعة وإزاحات ضعيفة نتج عنها تصاميم مألوفة.

فعلى مستوى المخطط الأفقي كانت الإزاحة قوية لان شكل الفناء تم تحويره بتغيير أبعاده المألوفة وإزالة فكرة الأروقة المحيطة به وإضافة أشكال مثلثة إليه وهي إشكال غير مألوفة في مساقط المساجد النجدية القديمة التي تمثل المرجع الأساسي للشكل الناتج مما يعني تغيير في مقومات شكلية أساسية تخص المساقط الأفقية للمساجد النجدية القديمة والذي نتج عنه تصميم مبدع على مستوى المسقط.

أما بالنسبة للواجهات والمأذنة فقد كانت الإزاحة فيهما ضعيفة في الشكل بسبب احتفاظ المصمم بسمات وخصائص شكلية مشتركة كثيرة بين المرجع والنتاج ومعظم هذه الخصائص هي أساسية في المرجع مما جعل التصميم على مستوى الواجهات والمأذنة مألوفاً، علماً ان المرجع للواجهات وهي الأبنية النجدية القديمة تمتاز واجهاتها بخصائص شكلية أساسية كميلان الحوائط، الملمس، اللون الطيني إضافة للمظهر الاستمراري المتراص، أما مرجع المأذنة فهي مآذن المساجد القديمة. (شكل1)

المشروع الثاني: جامع الدولة الكبير – بغداد / العراق

المعماري: راسم بدران – الأردن

اعتمد التصميم المقترح على دراسة مفردات العمارة التقليدية وتطويرها باتباع أحدث الأساليب الهندسية المعاصرة بحيث تعطيها البعد التاريخي الذي تتميز به المساجد الإسلامية. عموماً فأن المصمم يهدف إلى إيجاد بناء إسلامي الطابع، عراقي في شخصيته، معاصراً في تقنيته، واضحاً في معالمه لمختلف فئات وشعوب العالم الإسلامي. ولقد تم اختيار المسقط التقليدي للمصلى استناداً إلى المعطيات التاريخية وهو الشكل المستطيل والفناء الخارجي المحاط بالأروقة كما هو الحال في مساجد الإسلام الأولى مثل الكوفة وسامراء والفسطاط و...، بينما صُممت المآذن بحيث تنسجم مع النمط التقليدي للعمارة العراقية كما يشاهد في مسجد الخلفاء في بغداد (أمانة العاصمة، ص24).

ولقد وضع المُصمم أيضاً مرتفعاً أرضياً منحدراً مشابهاً لقاعدة زقورة ما بين النهرين لتأطير الجامع ولإخفاء حوالي ثلث من ارتفاعه. كما أُلهمت بوابات قصر الاخيضر بوابة الجامع (عبد الوهاب،ص98–101).

من خلال تحليل الوصوفات والرسومات الخاصة بهذا المسجد يتضح بأن مصمم هذا المسجد قد استخدم الإزاحة على مستوى الشكل في العديد من عناصر المبنى وبدرجات تباينت حسب طبيعة الإزاحة عن شكل المرجع الأساسي كونها قوية أم ضعيفة. فعلى مستوى المسقط كانت الإزاحة ضعيفة حيث تم الحفاظ على الخصائص الشكلية الأساسية لمخططات المساجد الإسلامية لدا كان التصميم مألوفاً.

أما بالنسبة لبوابة المشروع فقد كانت الإزاحة فيها قوية لان المصمم أخضع المرجع وهو بوابات قصر الاخيضر إلى عمليات تغيير وتحوير عديدة على مستوى الشكل ولم يستنسخ المرجع، لذا كانت المقومات المشتركة بين المرجع والنتاج قليلة أو ضعيفة، كذلك الحال بالنسبة للمنحدر الذي يحيط بالجامع حيث كان التصميم فيها مبدعاً لان المرجع وهو قاعدة الزقورة خضع لعمليات حذف وتحوير حتى وصل إلى شكله الحالي.

أما المأذنة فقد كان التصميم فيها مألوفاً لان النتاج ظهر وهو يحمل خصائص وملامح شكلية أساسية موجودة في نمط المآذن وبالأخص العراقية، كما في مسجد الخلفاء. (شكل2)

المشروع الثالث: مسجد الكورنيش – جدة / السعودية

المعماري: عبد الواحد الوكيل – مصر

يقع المشروع على الكورنيش الشمالي لمدينة جدة، وقد طُلب التصميم كجزء من برنامج تجميل مدينة جدة. حيث أراد أمين بلدية جدة بناء المسجد على شاطئ الكورنيش للتأكيد على أهمية الشكل المنحوت كوسيلة للتجميل وتحسين مظهر الهندسة المعمارية للمسجد ضمن منظر المدينة المعاصر (البناء، عدد34، ص35).

من خلال تحليل الوصوفات والرسومات المتعلقة بالمشروع يتضح بأن مصمم هذا المسجد أيضاً استخدم ستراتيجية الإزاحة وبدرجات متباينة من القوة والضعف. فالإزاحة على مستوى علاقة المسجد بسياقه المجاور كانت قوية بسبب تغير طبيعة هذه العلاقة، حيث انفصل الجامع عن سياقه وأصبح يعمل كمنارة أو منحوتة على شاطئ الكورنيش فكان التصميم مبدعاً على هذا المستوى لأنه يتباين بشكل واضح مع طبيعة علاقة أنماط المساجد الإسلامية المألوفة مع سياقاتها. بينما كانت الإزاحة على مستوى المأذنة والقبة ضعيفة فكان التصميم مألوفاً على هذين المستويين وذلك لأن المصمم حافظ على معظم الخصائص الشكلية

الأساسية للمرجع والذي هو أنماط القباب والمآذن في أبنية المساجد الإسلامية التقليدية. (شكل3)

7.الاستنتاجات:

- توفر الإزاحة جرأة تصميميه كبيرة وتخلق أعمال معمارية مبدعة على مستوى الفكرة والشكل وتحقق تواصلاً من خلال الابتعاد عن المألوف المستنسخ بشكل عام. وأحياناً الوصول إلى إزاحات بعيدة جداً نتيجة ظروف المشروع.
- أما فيما يخص عمارة المساجد فإن الإزاحة تتسم ببعض التحفظات بسبب ثبات المبادئ الإسلامية وارتباطها بأشكال محددة، فتكون درجة إزاحتها معقولة ترتبط بخرق القواعد المعمارية لأشكالها، ودرجة إزاحة عالية ترتبط بسياقها، كذلك ترتبط بإغناء معانيها عن طريق إضافة معاني جديدة لها تمثلت بالنواحي الجمالية والوظيفية.

8.المصادر:

- منيف أنطانيوس، غيداء، (العمارة)، أطروحة ماجستير، الجامعة التكنولوجية، قسم الهندسة المعمارية، بغداد، 1998.
- النعيمي، ندى خضر، (التناص في العمارة التفكيكية)، أطروحة ماجستير، الجامعة التكنولوجية، قسم الهندسة المعمارية، بغداد، 1999.
- أفندي ، هالة عبد الوهاب، (ثنائية الحضور والغياب في العمارة)، أطروحة ماجستير، الجامعة التكنولوجية، قسم الهندسة المعمارية، بغداد، 2001.
- شافعي، د.فريد، (العمارة العربية في مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970.
- الصالحي، پريزات قاسم، (خصوصية الصورة الاستعارية في العمارة العربية المعاصرة)، أطروحة ماجستير، الجامعة التكنولوجية، قسم الهندسة المعمارية، بغداد، 1999.
- الجميل، د. علي حيدر، (الاستعارة في العمارة)، أطروحة دكتوراه، قسم الهندسة المعمارية، الجامعة التكنولوجية، بغداد، 1996.
- النجيدي، د. حازم، (الأفكار المعمارية وصيغ التعبير في التوجهات المعاصرة: رؤية في الإستراتيجيا)، مركز الدراسات، الوحدة العربية، 2001.
- أمانة العاصمة، "مسابقة جامع الدولة الكبير- بغداد، العراق"، ايرنست كليت، شتوتغارت، المانيا الغربية، 1983.
- عبد الوهاب، نيران محمد، "الشعرية في العمارة العربية المعاصرة-أعمال راسم بدران"، أطروحة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، الجامعة التكنولوجية، بغداد، 1998.
- مجلة البناء، "مساجد الحي الدبلوماسي"، السنة الخامسة، العدد27، الناشر: عبد العزيز أبا الخيل، الرياض، 1986.
- مجلة البناء، "مساجد الحي الدبلوماسي"، السنة السادسة، العدد34، الناشر: عبد العزيز أبا الخيل، الرياض، أبريل-مايو 1987.

- Antoniades, Anthony C.; "Poetics of Architecture"; Van Nostrand Reinhold, New Yourk; 1990.
- Jencks, Charles; "Architecture Today"; Academy Adition; London; 1993.
- Rowe, Peter G.; "Design Thinking"; The M.I.T. Press; Cambridge; 1988.
- Curtis; William J.R.; "Contemporary Transformation of modern – Architecture"; Architectural Record; June; 1989.
- Eisenman, Peter; "Reworking Eisenman"; Academy Editions; London; 1993.

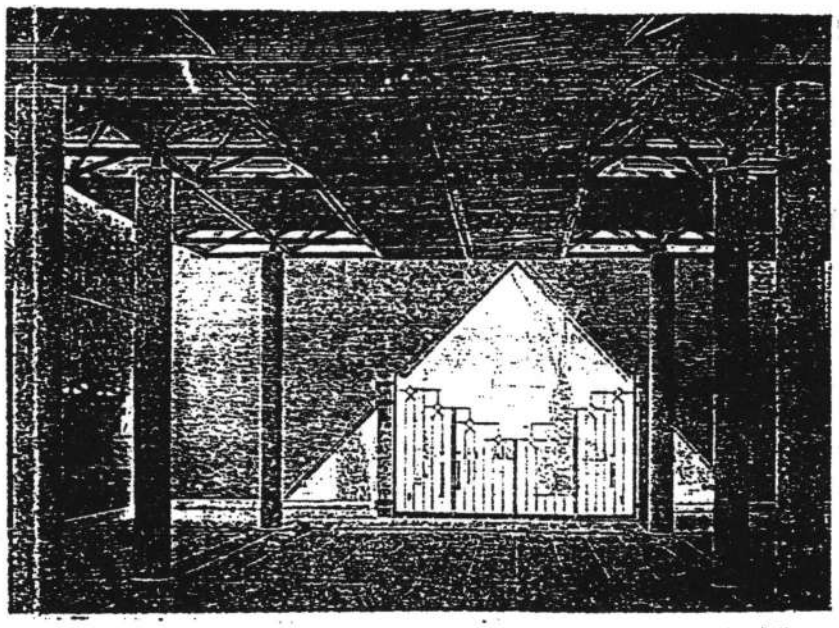

مدخل المسجد

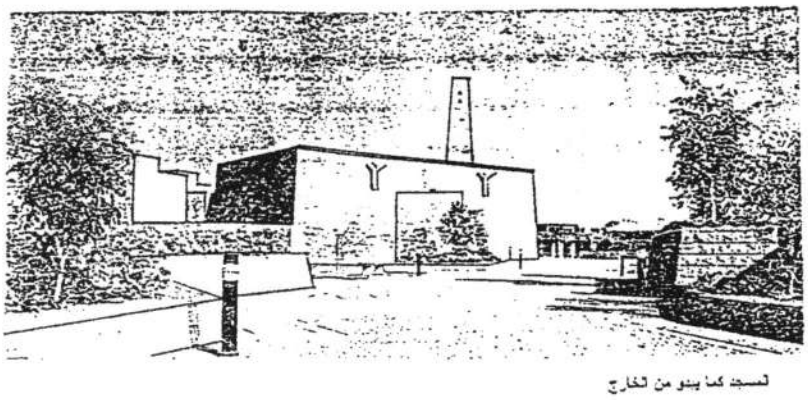

المسجد كما يبدو من الخارج

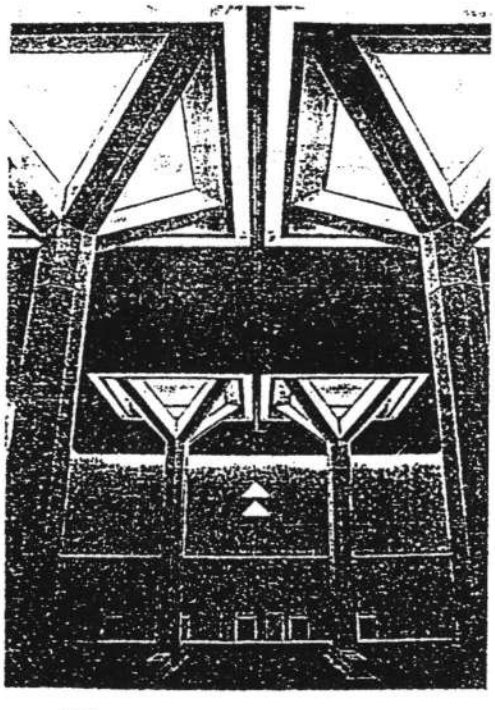

المسجد من الداخل

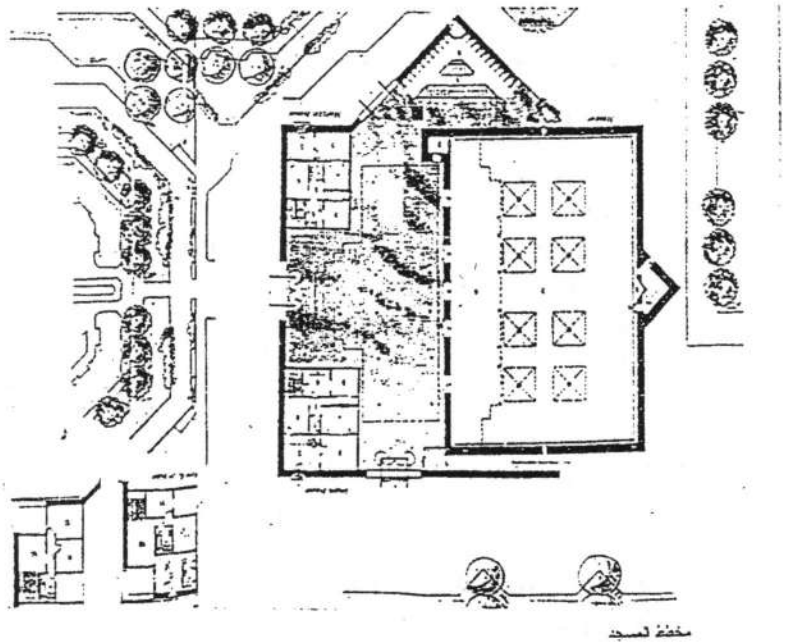

مخطط المسجد

شكل (1)

المشروع الاول : مساجد الحي الدبلوماسي

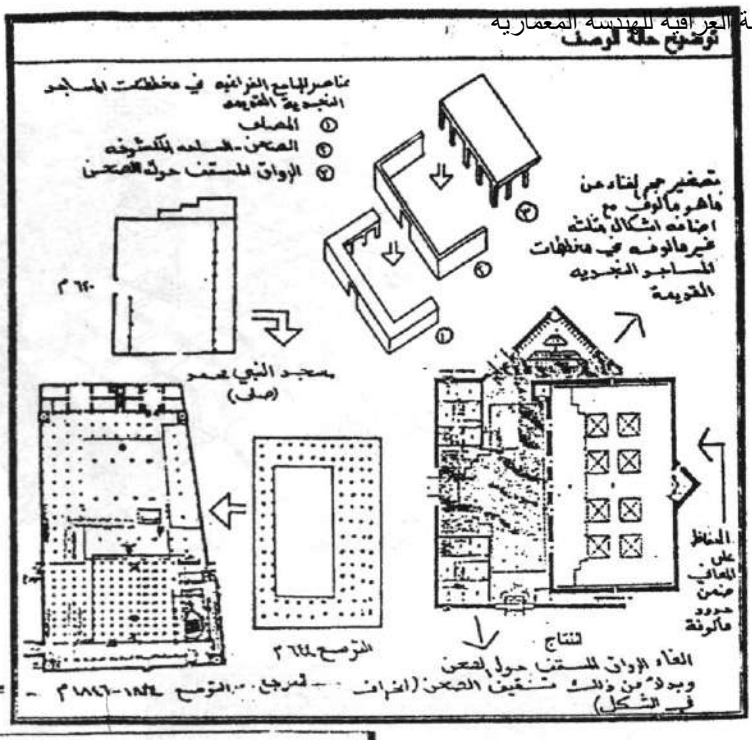

الازاحات على مستوى المظلم الافقي

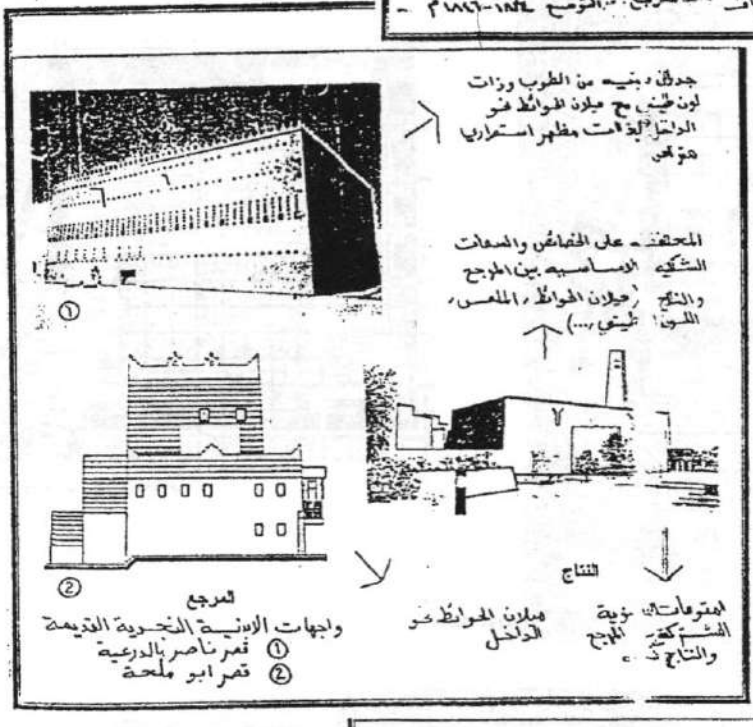

الازاحات على مستوى الواجهات

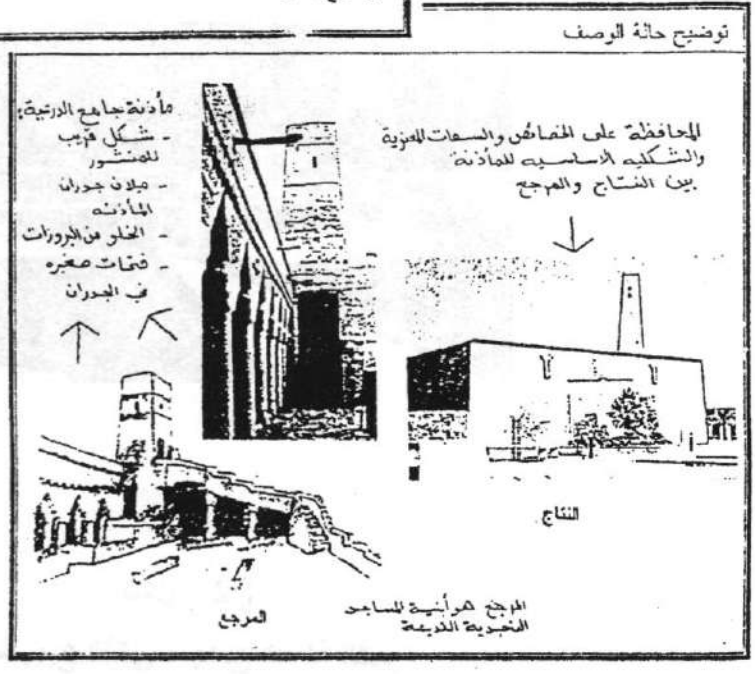

الازاحات في المئذنة

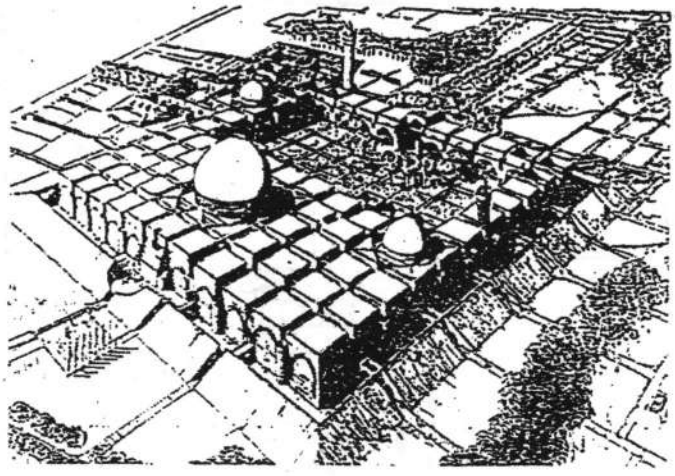

مجسم المشروع

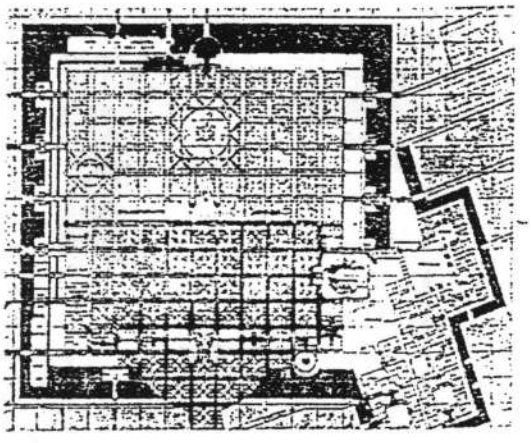

مخطط المعذنة والصحن والمجمع السكني

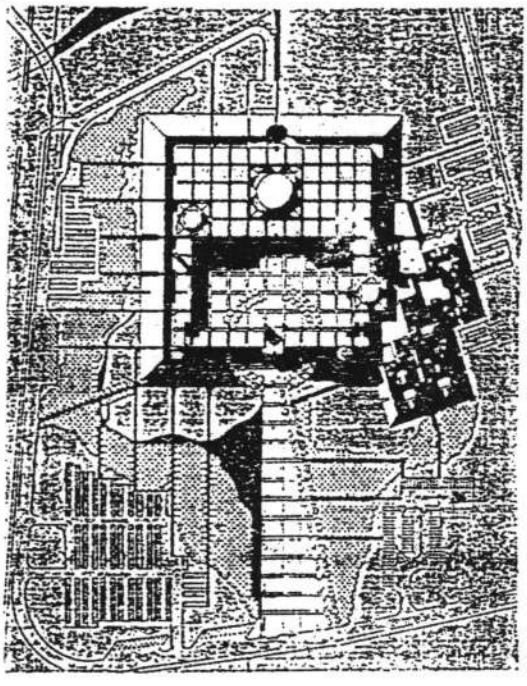

مخطط الموقع

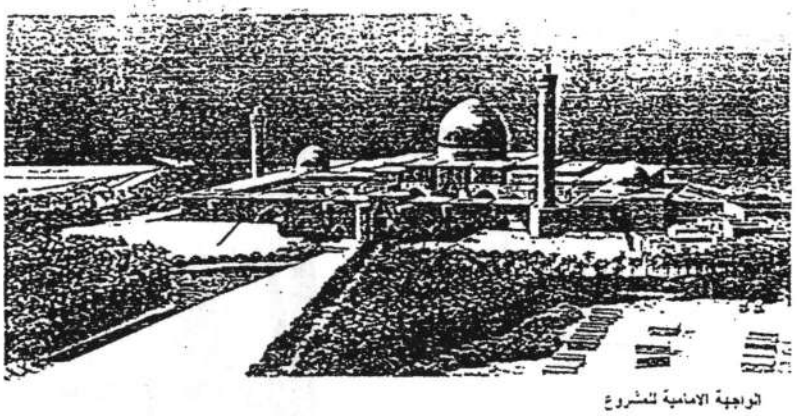

الواجهة الامامية للمشروع

شكل (2)

المشروع الثاني : جامع الدولة الكبير

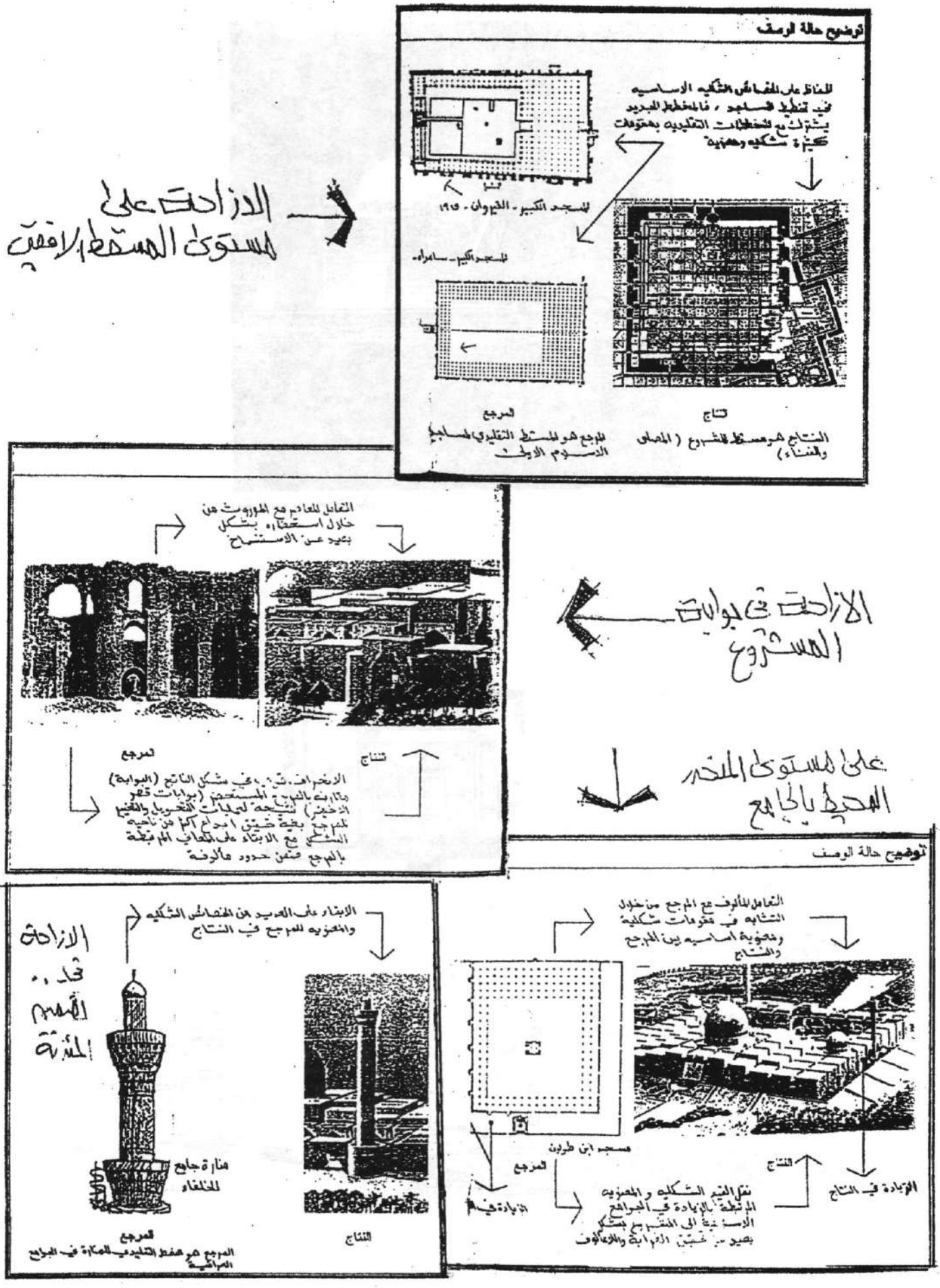
توضيح حالة الوصف
للحفاظ على الخصائص التشكيلية الاساسية في تنظيم المساجد ، فالمخطط المبدئي يشترك مع المخططات التقليدية بمقومات كثيرة تشكيلية ومعنوية
المسجد الكبير - القيروان - ٩٦٥
المسجد الكبير - سامراء -
الزيادة على المستوى الافقي
الزيادة في بوابات المشروع
على المستوى الرأسي المحيط بالجامع
التعامل المعاصر مع الموروث عن طريق استعاضة بتكامل بعيد عن الاستنساخ
الانحراف الذي يخص شكل التاج (البوابة) وعلاقته بالمرجع المستخدم (بوابات قصر الاخيضر) نتيجة لمتطلبات التحويل والتغيير للمرجع بغية ضيق ابواب اكثر من ناحية التشكيل مع الابتعاد على التعاقب الملتصقة بالمرجع ضمن حدود عالوفة
التاج
المرجع
توضيح حالة الوصف
التعامل المألوف مع المرجع من خلال التشابه في مقومات تشكيلية ومعنوية اساسية بين المرجع والتاج
مسجد ابن طولون
التاج
المرجع
الزيادة في التاج
الزيادة في المرجع
نقل القيم التشكيلية والمعنوية المرتبطة بالزيادة في الجوامع الاساسية الى المشروع بشكل بعيد عن شبهة الرقابة والاستهلاك
الابتعاد على الخصائص التشكيلية والمعنوية للمرجع في التاج
الزيادة في القيم المعنوية
مئذنة جامع الخلفاء
التاج
المرجع
المرجع هو نمط التقليدي للمآذن في الجوامع العراقية

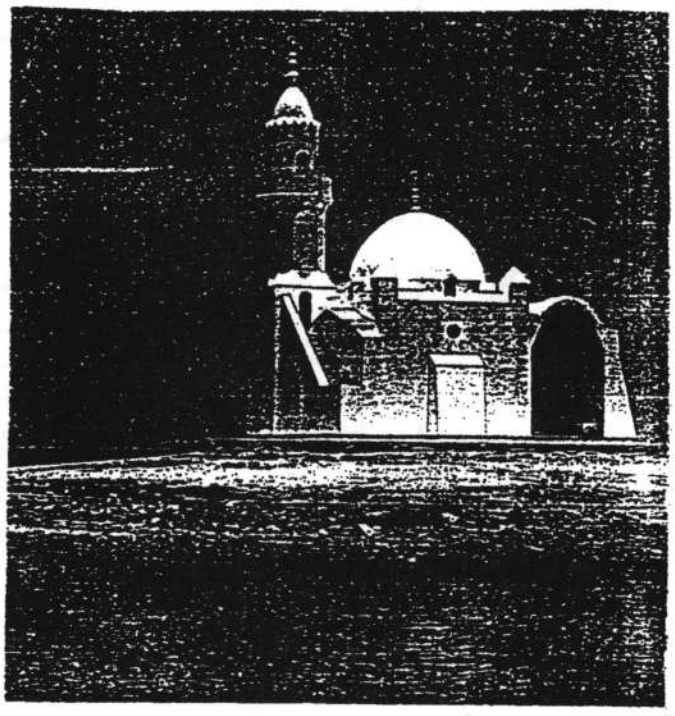

منظر المسجد من جانب الكورنيش

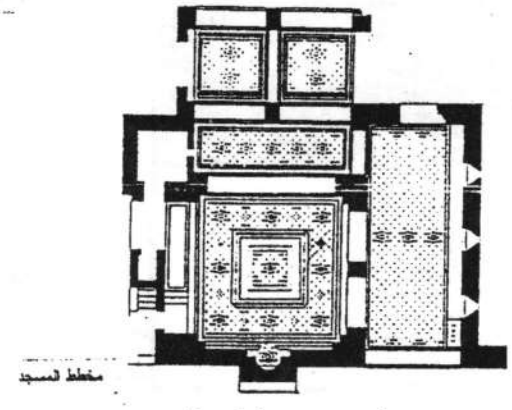

مخطط المسجد

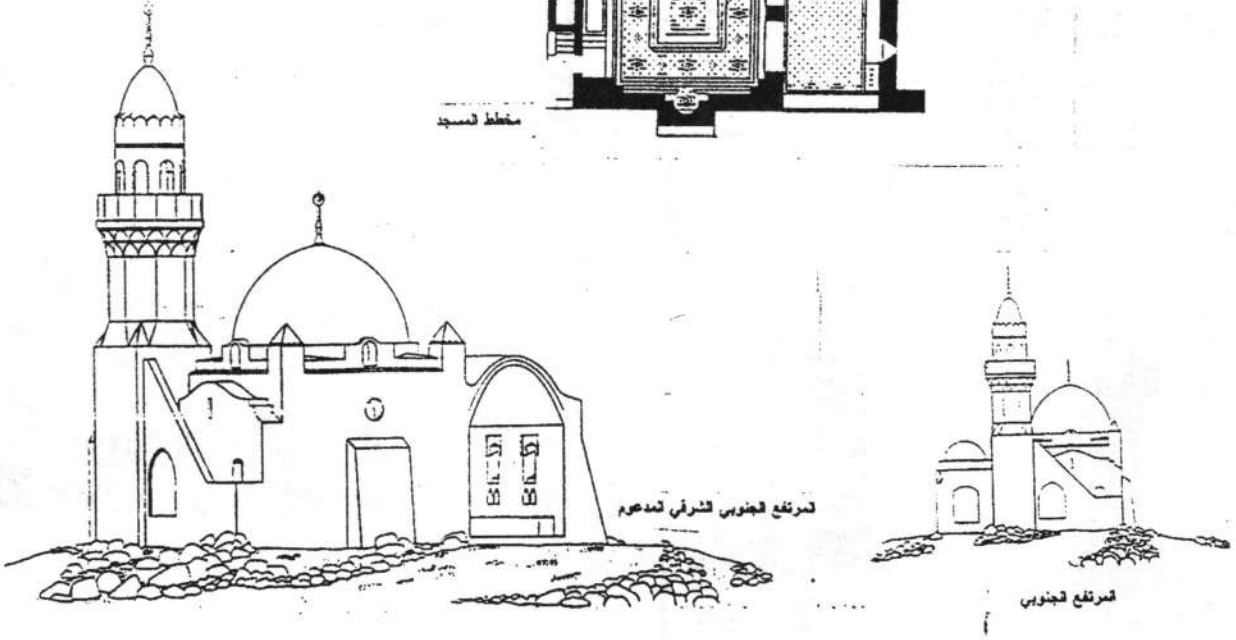

المرتفع الجنوبي الشرقي المدعوم

المرتفع الجنوبي

شكل (3)

المشروع الثالث : مسجد الكورنيش

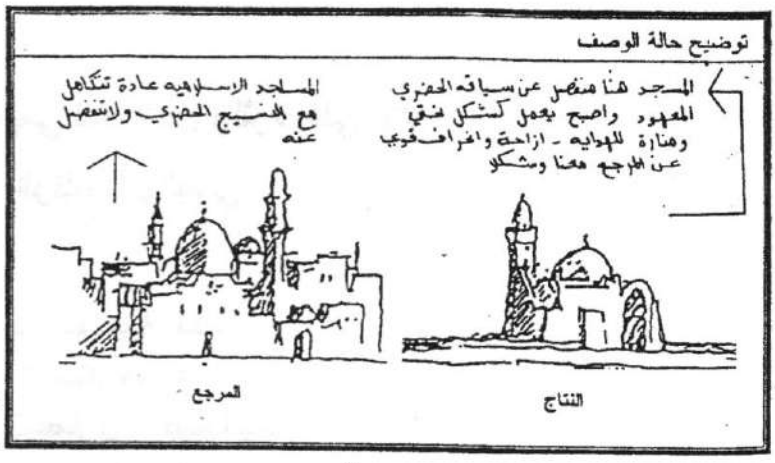

الازاحة على مستوى علاقة المسجد بالسياق المجاور

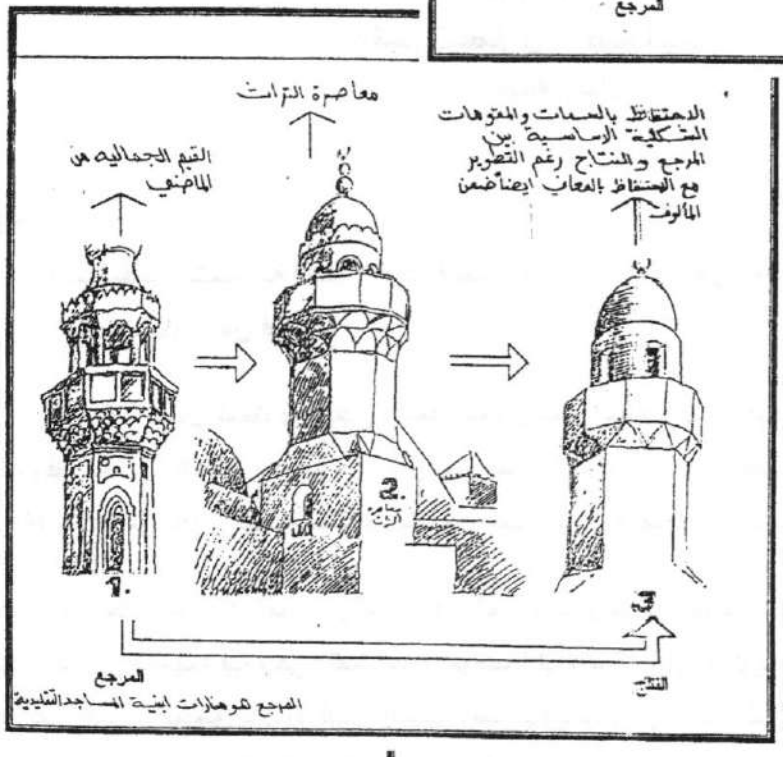

الازاحة على مستوى الهيئة والكتلة